يعيشون كلاجئين ، ومليونا اخر منهم يعيش في ظل الاحتلال العسكري الاسرائيلي . وهؤلاء الفلسطينيون لم يطبق عليهم أبدا مبدأ حق تقرير المصير ، وهو المبدأ الركن في فلسفة حزب العمال البريطاني ، لم يطبق عليهم في تصريح بلفور في عام ١٩١٧ ، ولا في قرار الامم المتحدة لتقسيم فلسطين في ١٩٤٧ ، ولا في عام ١٩٤٨ عندما اعلنت اسرائيل وجودها ، طاردة أول فوج من اللاجئين . ولا يزال من الاهداف الرئيسية للسياسة الصهيونية حتى يومنا هذا ، عزل وابعاد الفلسطينيين عن اية مفاوضات مقررة لتحقيق السلام العادل والدائم .

وهكذا فان حزب العمال البريطاني يجد نفسه منذ اكثر من نصف قرن ، تحت تأثير قناعة بضرورة ان « يفصّل » مواقفه وسياساته بما يتمشى و « الزي » الصهيوني . وتجاهل الحزب ، أو — كما هو أسوأ — جهل ، أن اقامة دولة اسرائيل ، قد أنزلت بالشعب الفلسطيني ظلما مريعا لا تقبله المبادىء الاشتراكية الاساسية . وهكذا فان تأييد حزب العمال البريطاني ، لاسرائيل والصهيونية ، قاده الى وضع ناشز ، يتعارض مع مبادئه الاساسية ، وتتجلى فيه ازدواجية المواقف في قضايا انسانية واخلاقية كبيرة . وأصبح حزب العمال البريطاني منعزلا بصورة متزايدة عن الرأي العام العالمي ، وعلى الاخص في دول العالم الثالث . ولا بد الان من اعادة تقويم لهذه المواقف تتناول كل النواحي الاساسية للقضية .

الصهيونية والاشتراكية

انتظمت كل من الصهيونية العالمية والاشتراكية البريطانية في اطار حركة سياسية ، في ظروف متشابهة ، الامر الذي يفسر الى حد بعيد نفوذ الاولى (الصهيونية العالمية) في الثانية (الاشتراكية البريطانية) . ونشأت الحركتان في الوقت نفسه تقريبا . ففي عام ١٨٩٧ التقى في بال في سويسرا مائة وسبعة وتسعون مندوبا في المؤتمر الصهيوني الاول . وفي عام ١٩٠٠ ، التقى في لندن ، مائة وتسعة وعشرون مندوبا في مؤتمر تأسيسي لانشاء حزب العمال البريطاني . وفي كل من الحالتين ، كان هناك التقاء وتجمع بين الناس الذين تتعرض مصالحهم لعداء النظام القائم ، بهدف خلق الاداة التي تمكنهم من رسم مستقبلهم . ولكن كان هناك اختلاف كبير وحاسم في الخلفية والتجربة، بين الصهيونيين في اوروبا الشرقية ، وبين الاشتراكيين في بريطانيا .

كان المندوبون الذين التقوا في لندن ، خليطا متنوعا من الناس . وكما يحدث بين افراد أية جماعة من الناس تلتقي على هدف عمومي واحد ، فلقد برزت بينهم اختلافات في الاراء ، سواء حول طبيعة الهدف ذاته ، او حول الوسائل المبتغاه لتحقيق الهدف . وكان ما يوحد هذا الحشد من الناس هو اجماعهم على ازالة الفقر ، والمرض ، والجهل ، والاستغلال البشع ، وهذه كلها كانت من نصيب جماهير الشعب البريطاني العامل . لكنهم كانوا أصحاب رؤيا اوسع ، اذ ادركوا ان الاستغلال والقمع يمتدان بعيدا الى ما وراء حدود وطنهم . ولهذا اعلنوا معارضتهم لحرب البوير التي كانت في أوجها في ذلك الحين ، لانها كانت امتدادا للامبريالية والاستغلال ، كما كانوا معادين بالغريزة للاحياء « المقفلة » — الجيتو ، وللمذابح المدبرة التي كانت تنظمها الامبراطوريات الاستبدادية في القارة الاوروبية ، لان هذه النواحي كانت تجليات وتعبيرات من الحالة العامة .

أما الصهيونيون الذين اجتمعوا في مؤتمر بال فلقد كانوا ايضا شديدي التوق قبل كل شيء لتخليص شعبهم مما يعانيه من اضطهاد ، انما ، وبسبب خلفيتهم المختلفة كثيرا ، فان نظرتهم كانت شديدة الاختلاف . كان القادة الاوائل للحركة الصهيونية ، على وجه الحصر ، من ابناء تجربة « الجيتو » ، والذهنية الناشئة والمتولدة في جو « الجيتو » . وكان اليهود في وسط وشرق اوروبا يتعرضون للقمع والاضطهاد ، ومحرومين حتى من تلك الحقوق المدنية الهزيلة التي كانت مباحة لهم في امبراطوريات استبدادية مثل النمسا — المجر وروسيا القيصرية . وكان المندوبون المجتمعون ، وجميعهم من اصحاب هذه الجذور « الجيتوية » ، بلا المام بالنظام البرلماني ، وعلى غير دراية بالمعارضة المنظمة ، التي كانت تقوم في بريطانيا على حركة اتحاد النقابات ، وكانت تقود نحو « دمقرطة » البرلمان .

كان ثيودور هرتزل مدفوعا بخلفيته هذه حين ألف كتاب « دولة اليهود » ، الذي طرح فيه فكرة اقامة دولة يهودية والدعوة الى عقد المؤتمر . وهذا ما كتبه موشي مينوحين في شهادته البارزة